الدولة الغزنوية وموقف أصحاب العقائد غير السماويّة منها

الباحثة/ مريم إبراهيم عبد الحافظ

فتوحات الدولة الغزنوية لبلاد الهند من أهم الأحداث فى العصور الوسطي، بلاد الهند وقتها كانت فى حالة تفكك وفوضى، وعائلات الرجبوت[١] الَّتِي قد أسست سلطتها فى أجزاء الهند الشمالية المختلفة عجزت عن السيطرة على حالة الفوضى والتفكك الَّتِي عَمَّتْ البلاد[٢].

انقسمت بلادُ الهند فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجري _العاشر الميلادي_ انقساماً لم تَشهدْه فى تاريخها، حيث كان شمالها الغربي مُنقسِمًا بين أمراء كثيرين من الرجبوت مُعترفِين لراجا دلهى بالغلبة والتفوق، وكان راجا قنوج يملك إمارة "أودهة" وإمارة وادي الكنج، كما كان آل "بال" يملكون البنغال وبهار وكانت سلالة من آل كبتا يملكون "مالوه"، وجنوب الهند سيطر عليها إماراتٌ هندوسية ثلاث:(جبرا- رجولا- بيندرا) ولم تجتمع هذه الإمارات فى تكتل واحد، بل كانت تحارب بعضهُا بعضًا، من أجل السلطة والنفوذ[٣].

وصف أيضًا المسعودي[٤] أحوال الهند فى القرن الرابع الهجري قائلًا:" ولَمَّا هلك هذا الملك كورش اختلفت الهند فى آرائها، فتحزبت الأحزاب وتوالت الأجيال، وانفرد كل رئيس بناحية فملكَ أرض السند ملكٌ، وملكَ أرض القنوج ملكٌ، وتملَّك أرض كشمير ملكٌ، وتملَّك على مدينة المانكير ملكٌ... وبين هذه الممالك تباين وحروب، والغة مُختلِفة وأَراؤُهم غيرُ متفقة...)، ويُعد ذلك دليل على أنَّ أحوال بلاد الهند قُبيل

---

[١] الرجبوت: هم أبناء الملوك، فهم قوم محاربون أكْفَاء، عُرفوا بالأكشرية أي المُقاتِلة، قاموا بالمنطقة الممتدة من شرق نهر السند إلى ما وراء آراولي الَّتِي لا تزال تُسمي براجبوتانا (أحمد خلف الله عبد الراضي عوض: الراجبوت فى شبه القارة الهندية، رسالة ماجستير، جامعة المنيا، كلية دار العلوم_ قسم التاريخ الإسلامي، لسنة ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص ٤٤-٤٥).

[٢] محمد مجيب: تاريخ حضارة الهند، ترجمة محمد نعمان خان، مراجعة زبير أحمد الفاروقي، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٢٩٨.

[٣] Habib, Mohammed. Sultan Mohmud of Ghaznin, New Delhi and University Aligarh, ١٩٥١, P,٧٩.

[٤] مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الخامسة، دار الفكر، بيروت- لبنان، لسنة١٣٩٣هـت/١٩٧٣، ج٢، ص٨١-٨٢.

الفتح الإسلامي الغزنوي، كانت تعيش فى حالة من الاضطرابات والتشرذم وعدم الاستقرار، كما تُظهر هذه النصوص بما لا يَدَعُ مجالًا للشك عدم اتحاد ملوك الهند وحكامها، ومدي غرقهم فى حالة من الفوضى والتنافس الحاد بينهم، كل ذلك أسهم فى تفتيت الوحدة السياسية العامة لبلاد الهند، وسهَّل مُهمةَ الفتح الإسلامي الغزنوي لها[١]، فلم يستطيعوا هؤلاء الهندوس من تنظيم قوام لحماية حدودهم وعواصمهم[٢].

وعلى الصعيد الديني والاجتماعي والأخلاقي فى فترة الفتح الإسلامي الغزنوي لها يمكن القول بأنَّها منذ القرن السادس الميلادي كانت فى أحط أدوارها الدينية والاجتماعية والأخلاقية، حيث زاد عدد الأصنام والتماثيل والآلهة فى عموم الهند، وبلغت الوثنية أوجها فى مطلع القرن السادس الميلادي _الأول الهجري_، كما أنَّها امتازت بكثرة المعبودات والآلهة[٣].

وعلى الصعيد الاجتماعي وُصِفَت الحياةُ الاجتماعية بالجمود والانغلاق، فأثرَّت بالسلب على شرائح واسعة من أفراد المجتمع، وألزمتْ كلًا منها بتعليمات وطرق معيشية خاصة بهم لا يجوز لإحد من طائفة تجاوزها أو التعدي عليها ومن يفعل ذلك ينال أشد العقاب وهو تعذيب النفس والروح، فلم يُعرف فى تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد قسوةً واستهانة بشرف الإنسان من النظام الَّذِي اعتَرفت به الهند دينيًا ومدنيًا[٤].

مِمَّا سبق يمكن أنْ نقولَ أنَّ الاستبداد السياسي والاجتماعي الَّذِي اتخذته الهند أسلوبًا ومنهجًا لحكومتها بالإضافة إلى النظام الإقطاعي ونظام الطبقات الجائر الَّذَينِ كانا سائدينِ فى ذلك الوقت، أسفرا عن عزلة بلاد الهند عن العالم الخارجي، فلم تواكب بلاد الهند التغيير الهائل الَّذِي حدث على الحدود، فالعزلة الجغرافية والحضارية لبلاد الهند أعطت الحكام رؤية غير واضحة، وعدم تقدير صحيح لديناميكية القوة الدولية من

---

[١] على محمد فريد على: السلطان محمود الغزنوي سياسته ودوره في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية، رسالة ماجستير، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، كلية الآداب– جامعة عدن، لسنة ٢٠٠٦، ص١٧١.

[٢] ديورانت، ول: قصة الحضارة (الهند وجيرانها)، ترجمة زكي نجيب محمود، الطبعة٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ص١٢٥.

[٣] أبو الحسن على بن الحسين الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة ٨، دار نهر النيل، القاهرة، لسنة١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٤١.

[٤] البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن– الهند، لسنة١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، ص٧١.

حولهم، وهذا ما أكدَّه المؤرخ الهندي بانيكار[٥] بقوله:" فلا توجد بلاد انعزلت عن العالم مثل الهند لمدة ثلاث مِائَة عام، وبدون معرفة ما يدور من حولهم زاد الشعب الهندي عزلةً، وأصبحت الحضارة متدهورة، وتوالد فيها نقص الاتصال بالثقافات الأخرى، وأصبح المجتمع ساكن، وتنظيمات العصور الماضية الَّتِي كانت نظرية أكثر منها واقعية أصبحت مقبولة كقواعد مُسلَّمٍ بها، وقد ظهر هذا التدهور فى كل مكان".

استغل سلاطين الدولة الغزنوية الوضع السائد فى بلاد الهند وعزموا على توسيع حدود دولتهم، فمع كل الظروف الَّتِي تعيشها الهند لم تدخل الدولة الغزنوية الأراضي الهندية بسهولة، وواجهت مقاومات عنيفة من سكان الأراضي الهندية وحكامها[١].

عندما مد سبكتكين نفوذه على مدينة كابل[٢] وسيطر عليها تصدى له الملك جيبال[٣] ملك البنجاب، لتأثيرها الكبير والمباشر على إضعاف شأن مملكته، لسيطرتها على المسالك المؤدية إلى السهل الهندي الخصب، ولأنَّها تَقبض على أطراف ولايته، فاستعدَّ لهم بقوة لمواجهة الغزو[٤]، وأخذ يرتب ويعد عدته والجيش والفيلة على عادتهم المعروفة بينهم[٥]، بعدها تحرك مع عشيرته والجيش وكبار قواده نحو سبكتكين لمراجعته فى الاستيلاء على كابل، ففوجئ باستعداد سبكتكين له، فالتقى الجيشانِ وتقاتلا بضعة أيام متواصلة، وبعد قتال حُسمت المعركة للجيش الغزنوي، فهُزم الملك جيبال وجيشه وخَسر الكثير من العساكر والجنود فى المعركة[٦].

---

(٥) PANIKKAR, K.M: A survey of Indian History, Bombay,١٩٤٥,pp:١١٠-١١١.

(١) فتح الله عبد الباقي ابراهيم الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب- فرع دمنهور، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ص٨٣.

(٢) كابل: مدينة كابل بها تجارات الهند والصين الثمينة، وأسواق عامرة كثيرة السلع، وعلي المدينة سور منيع، ولم يوجد اليها إلا طريق واحد، ونهر كابل رافد من روافد نهر الأندلس، ويُستخرج منه الكثير والكثير من المعدن الثمين (كي لسترنج: بُلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانيه وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه بشير فرنسيس- كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، فلورسة- إيطالية، لسنة١٩٠٥م، ص٣٨٨-٣٨٩).

(٣) جيبال: ذكر أيضًا بهذه الصيغة (جي بال) وهو ملك البنجاب، كان من بيت الشاهية الهندية. (البيروني: تحقيق ما للهند، ص٣٥١؛ فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الطبعة الأولي، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، لسنة١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص ٦٠).

(٤) أحمد محمد الجوارنة: المعارك الإسلامية في الهند، جامعة اليرموك، الاردن، د. ت، ص ٢٨.

(٥) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة- مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، لسنة١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص٤٧٤؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٢.

(٦) العتبى: اليميني فى شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، شرح وتحقيق إحسان زنون الثامرى، الطبعة الأولى، مطبعة نداء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، لسنة ١٤٢٤/٢٠٠٤م، ص٣١؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ ٤، ص٤٧٤-٤٧٥.

أُجبِرَ جيبال على طلب الصلح خوفًا على مملكته، فأرسل إلى سبكتكين يعرض عليه مال وإرسال خمسين فيلًا والتنازل عن جزء من البلاد الَّتِي يحكمها فتصبح بيده فيدبر شئونها ويرعى مصلحها[٧]، نصح محمودُ الغزنوي أباه سبكتكين بالرفض، وهذا ما أغضب جيبال، فأرسل لهم خطاب تهديد قائلًا: "إذا لم يتم الصلح فالهنود لا يهابون الموت إذا أتاهم، فسيفقعون أعين أفيالهم، ويلقون بأطفالهم فى النار، ويدمرون بيوتهم، ثُمَّ يَعرضون أنفسَهم على سيوفهم ورماحهم فيزهقون أرواحهم بأيديهم، فهم لا يخافون الموت، حتَّى إذا دخل المسلمون ديارهم لا يجدون إلَّا تلالًا خَرِبةً، فإنْ كان المطمع الأموال والغنائم فلم تجدوا إلَّا الرماد"[١]، أكَّدَ جيبال لهم مدى قوة وقسوة قلوب الهنادكة وكرههم وعدم هيبتهم للدولة الغزنوية، وأنَّ الغرض من طلب الصلح الحفاظ على الجيش، راجع سبكتكينُ وابنُه محمودُ أنفسَهم ووجدوا أنْ يقبلا الصلح، فاتفق معهما على تسليم بعض البلاد والقلاع وإرسال ألف درهمٍ وخمسين فيلًا[٢].

سبكتكين أمسك ببعض أهل جيبال لحين تنفيذ ما تمَّ الاتفاق عليه، كما أرسل مع جيبال رجالًا لاستلام البلاد والقلاع والمال والفيلة المتفق عليها، مكرُ ودهاء جيبال جعله يبحث لنفسه ومن معه عن مخرج من الوقوع بأيدي الغزنويين، فبعد أنْ قطع معظم الطريق مع رجال سبكتكين وشعر بالأمان وسط أهل بلاده ،انقضَّ على رجال سبكتكين وقبض عليهم[٣]، ليضغط بهم علي سبكتكين ليعيد له أهلَه المقبوض عليهم لديه، وأخبره أنَّه لم يترك سراح رجاله حتَّى يفكَّ سبكتكين أسر من عنده، غضب سبكتكين وسار بعساكره نحو الهند[٤]، ودمَّر كل ما مرَّ عليه من بلادهم حتَّى وصل إلى

---

[٧] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٧، راجعة وصححه محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، لسنة١٤٠٧هـ١٩٨٧م، ص٣٧٤- ٣٧٥؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص ١٤٢- ١٤٣.

[١] عصام الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، لسنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٢٢؛ فتح الله الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٣٢-٢٣٣؛ محمد عبد العظيم أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين وصفاتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، الطبعة الأولى، نوابع الفكر، القاهرة-مصر، لسنة١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ١٩٩.

[٢] عصام الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيمورى، عالم الكتب، القاهرة، لسنة١٩٨٠م،، ص١٦- ١٨.

[٣] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلامي،جـ٣، الطبعة الرابعة عشرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، بالاشتراك مع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، لسنة١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٩٣.

[٤] العتبي: اليميني، ص ٣٢-٣٣-٣٤؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ ٤، ص ٤٧٥.

مدينة لمغان[٥]، وتُعد من أجمل قلاعهم تضم الكثير من الأصنام فهشَّمها وهدَّم المعابد وحطَّم الأصنام الَّتِي تسكنها وكاد أنْ يخفي ملامحها[٦].

أرسل جيبال لملوك الهند يطلب منهم الترابط والتكاتف لِيَجْمَعوا جيشاً قويًا يتصدى للزحف الغزنوي للأخذ بثأر الأصنام الَّتِي حطَّمها سبكتكين، وأنْ يجعلوا منهم عبرةً لكل من سولت له نفسه وفكَّر فى غزو بلادهم أو طمع فى ثرائهم.

لبَّى الدعوة كل من حاكم قنوج وكالنجر، وأرسل الجيوش لمساندة جيبال، وأرسل أمير الملتان مساعدات سرية، فسار جيش الملك جيبال يتجاوز مِائَة ألف مقاتلٍ، وتحركوا نحو سبكتكين، دارت معركة حامية خسر الفريقانِ بها الكثير من الجنود والعساكر، واستطاع الهنادكة تحقيق انتصار على الجيش الغزنوي، ولجأ الجيش الغزنوي لخطة جديدة حققت لهم النصر، وأُسِرَ الكثيرُ من الهنادكة، وضمَّ الغزنويون لأنفسهم من الأفيال والدوابِّ الكثير[١].

طلب الهنادكة الصلح مرةً ثانية، على أنْ يدفعوا للدولة الغزنوية مائتي فيلٍ وعشرة آلاف من الخيل والكثير من المال، فتمكن الغزنويون من وضع أيديهم على بعض البلدان والحصون، وعرفت المعركة باسم موقعة لمغان لحدوثها بمدينة لمغان سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م.

اعتبر الهنادكة وحكامهم الوجود الغزنوي على أرضهم اعتداءً على الوطن وسلبًا لثرواته، فظلوا مترقبينَ الفرصة المناسبة ليرموا بهم خارج وطنهم، وهذا ما حدث مع الملك جيبال، أعدَّ لهم جيشاً عظيمًا تجاوز اثني عشر ألف فارسٍ وثلاثينَ ألفًا من المشاة[٢]، وأعلن عليهم الحرب مرة ثانية، فكانت مع السلطان محمود الغزنوي بعد

---

[٥] لمغان: هي أحد مواضع جبال غزنة (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرواضية، الطبعة الأولي، دار الغرب الإسلامى، بيروت- لبنان، لسنة١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٥٦٧).

[٦] حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، جـ٣، ص٩٣.

[١] فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٣؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية نظرات فى شمال الهند، جـ١، مطبعة النرجس التجارية، الرياض، المملكة السعودية، د. ت، ص٨٥؛ فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتى: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية فى عهد السلطان محمود الغزنوي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب- فرع دمنهور، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية الدراسات العليا، لسنة١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٢٣٣-٢٣٤-٢٣٥.

[٢] الكرديزى: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، لسنة٢٠٠٦م، ص ٢٥٣-٢٥٤؛ ٢٦ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٧٩-٤٨٠؛ نظام الدين الهروى: المسلمون فى الهند من الفتح العربى إلى الاستعمار البريطاني، جـ١، ترجمة عن الفارسية أحمد عبد القادر الشاذلي، دار الهيئة المصرية العامة للكتب، كلية الآداب_ جامعة المنوفية، لسنة ١٩٩٥، ص٢٥.

تولِّيه الحكم بعد وفاة والدة سبكتكين، التقى الفريقان في مدينة برشاو فى شهر شوال سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م[٣].

وفى حقيقة الأمر الجيش الغزنوي لم يكنْ مستعدًا هذه المرة، فى حين الملك جيبال أعدَّ ورتب واستعد بشكل جيد، وأعلن الحرب بشكل مفاجئ، بدأت الحرب واشتد القتال لكنِ حسنُ التخطيط مكَّن الجيش الغزنوي النيل من جيش الهنادكة، واستطاع السلطان محمود القبض على جيبال وخمسةَ عشرَ من أفراد عائلته، وكان من بين السجناء زوجتان وابنتان من الحكام، وأسر من الهنادكة خمسمِائَة ألفٍ من العبيد، كما ضمَّ السلطان محمود إلى مجوهراته قلادة من الجواهر النفيسة كان يرتديها الملك جيبال بعنقه، قيل عنها لا مثيل لها فقد نزعه إياها، والمؤرخون لم يستطيعوا تحديد قيمتها، فمنهم من قال أنَّها تعادل مِائَة ألف دينارٍ[١]، وقد أشار المؤرخ ابن كثير[٢] إلى قيمة تلك القلادة بقوله: أنَّها تُعادل ثَمانين ألف دينارٍ، ووجد مع أقاربه الَّذِين أُسروا معه قلادات نزع جميعها منهم.

عرض الملك جيبال على السلطان محمود أنْ يفتدي نفسه بدفع المال و بالتنازل عن الملك لابنه أندبال وذكره أيضًا بـ أنندبال، أفرج عنه السلطان محمود كما وافقه على طلبه، ومن عادة الملوك فى الهند لا يجلس على كرس العرش من يقع أسير فى يد المسلمين، فعاد جيبال إلى بلاده وسلم ما تم الاتفاق عليه ثُمَّ أرسل إلى ابنه أندبال يخبره بالتنازل عن الملك له، بعدها أحس بالعار والذل فقام بإزالة شعر رأسه وألقى بنفسه فى النار ليتخلص من عار الهزيمة[٤].

لم يقف ملوك الهند مكتوف الأيدي أمام الغزو الَّذِي يُسيطر يومًا تَلوَ الآخر على أراضيهم فيملك كل يوم قطعة منها، فكلما أتاحت لهم الفرصة إخراجهم تَجمَّعوا له،

---

[٣] الهروى: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٥– ٢٦.

[١] ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ، جـ ٨، ص ٢٠ –٢١؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص ٤٧٩ –٤٨٠؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ط الأولى، دار العهد الجديدة، لسنة ١٣٧٨هـ–١٩٥٩م، ص ٨٣؛ فخر الدين الحسينى: الهند فى العهد الإسلامى، ص ١٤٣ –١٤٤.

[٢] البداية والنهاية، جـ١٥، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى، دار هجر، الجيرة، لسنة١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ص٤٩٦.

[٤] ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٨، ص ٢١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٥، ص ٤٩٦؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص ٨٤؛ فخر الدين الحسيني: الهند فى العهد الإسلامى، ص١٤٤؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ٩٦ – ٩٧؛ فتح الله الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٣٧–٢٣٨.

فكان التصدي هذه المرة سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ، وقيل كان سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، وكان من الملك بجهرا[٥] ملك مدينة بهاطية[٦]، الَّتِي سبق أنْ قدم المساعدات للملك جيبال ومدَّه بالعساكر أثناء مقاومته للزحف الغزنوي.

سارت هناك معاهدات واتفاقيات بين بعض ملوك الهند والدولة الغزنوية وذلك بعد هزيمة الملك جيبال، فمِنْ ضِمن الملوك الَّذين جريت عليهم المعاهدات والاتفاقيات الملك بجهرا، فالطاعة والولاء تلزمه بتقديم المساعدات والامدادات للسلطان محمود الغزنوي، ودفع جزية سنوية مقابل بقاءه فى ولايته، وقوع مدينة بهاطية الَّتِي يحكمها الملك بجهرا تحت حكم لاهور هو السبب الرئيسي وربما يكون الوحيد فى دخول بجهرا فى المعاهدات، فما يجري على لاهور يجري على باقي البلاد التابعة لها، لذلك انتَهز بجهرا فرصة تنازل الملك جيبال عن ولايته لابنه أندبال وحدوث اضطرابات وأعلن استقلاله ببهاطية عن لاهور، وعندها رفض الالتزام بالمعاهدة مع الدولة الغزنوية ودفع الجزية السنوية.

فى الوقت نفسه كان السلطان محمود الغزنوي يعمل على تثبيت قواعد الدولة الغزنوية بالأراضي الهندية، فعندما علم بما يُرتب له الملك بجهرا أزعجه ذلك كثيرًا، وتحرك بجيشه له ليخضعه ويرجعه لرُشده.

لم تهتز من رأس الملك بجهرا شعرة عندما علم بقدوم السلطان محمود الغزنوي له، فأخذ قوته مِمن امتَلكه من جيش عظيم وفيلة قوية مدربة للمشاركة فى الحروب، فتحصن بجنوده داخل المدينة مُنتظِرًا وصول السلطان محمود الغزنوي مع الجيش، بعد ذلك قرر الملك بجهرا المواجهة فخرج مع جيشه فتقابل الفريقانِ واشتعلت المعركة بينهم ثلاثة أيام بلياليها، ويُعدُّ الفريقانِ فى نفس القوة تقريبًا، تبادلا النصر والهزيمة، كاد الهنادكة أنْ يلحقوا الهزيمة بجيش الغزنويين إلى أنْ اختلف الوضع بقدوم اليوم الرابع الَّذِي استطاع فيه الغزنويون تغيير الوضع بهزيمة الهنادكة وهرب الملك بجهرا من ساحة القتال مع بعض من خاصته إلى رُؤُوس الجبال، حتَّى يتمكن من استرداد قوته

---

[٥] بجهرا– بجير– بحيرا – بيجى رائى – بجير او راجا (الكرديزى: زين الأخبار، ص ٢٥٤؛ فخر الدين الحسيني: الهند فى العهد الإسلامي، ص ١٤٤؛ فتح الله الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٣٩؛ عمر صالح العمرى : فتوحات السلطان محمود الغزنوى في بلاد الهند، دار المنظومة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد١٣، العدد ١، الأردن، لسنة٢٠١٦م، ص٢٠٥.

[٦] بهاطية – بهاتية: مدينة حصينة عالية السور من أعمال الهند، يحيط بها خندق عميق، وهى وراء الملتان (ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٨١؛ فخر الدين الحسيني: الهند فى العهد الإسلامي ، ص٧٨).

لعودته مرة ثانية لساحة القتال، وعند هربه ترك بالمدينة جيش يدافع عنها مع أهلها، لكن الجيش الغزنوي تمكن من اقتحامها والسيطرة عليها وقتل الكثير من سكانها والجيش المدافع عنها[١].

أرسل السلطان محمود فريق من جنده وعساكره ليلحقوا بالملك بجهرا ويحضروه، ونجحت قوات السلطان محمود بالإمساك بالملك ومن معه[٢]، ومن خشية الملك بجهرا أنْ يقع أسيرًا بأيدي الغزنويين قرر التخلص من حياته فأخذ خنجره وقتل زوجته ثُمَّ قتل نفسه[٣].

لم يغيب عن ذهن الملك أندبال ما حدث مع أبيه الملك جيبال على أيدي سلاطين الدولة الغزنوية، وما فعله السلطان محمود الغزنوي، فهو السبب فى أنْ يُلقى جيبال بنفسه فى النار ليتخلص من حياته بعد أن أذاقه ذل الأسر وعار الهزيمة[٤]، فبيَّت النية للدولة الغزنوية واستغل أول فرصة أتته للانتقام لأبيه وأصنامهم المحطمة، حينما أراد السلطان محمود الغزنوي المرور من بلاده ليصل إلى أبي الفتوح[٥]حاكم الملتان[١] لتأديبه على تصرفه معه أثناء غزوة بهايطة[٢]، ومده لحاكم بهايطة بالمساعدات للتصدي للدولة الغزنوية بحجة المعاهدات الَّتِي كانت بينهم، تحرك إليه سالكًا فى البداية

---

[١] ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٨١–٤٨٢؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص٨٤؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص ١٤٤؛ عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوى في بلاد الهند، دار المنظومة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب، المجلد١٣، العدد ١، الاردن، لسنة٢٠١٦م، ص٢٠٥.

[٢] الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٥٤.

[٣] العتبى: اليميني، ص ٢٧٩–٢٨٠–٢٨١.

[٤] العتبى: المصدر السابق، ص٢٨٤.

[٥] أبو الفتوح: هو أبو الفتح داود بن نصر بن حميد القرمطي الملتاني، كان واليا على الملتان، عرف بالخبث كان يتبع مذهب القرامطة (فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٤).

[١] الملتان: بلد في الهند وهى نحو نصف المنصورة، وبها صنم تعظمه الهند ويحج إليه الناس من أقصى البلدان، اسمه مشتق من كلمة سنسكريتية وهى Maliathan، ويقصد بها موضع قبيلة مالى تلك القبيلة القوية الَّتِي تسكن هذه المنطقة زمن الإسكندر المقدوني، وتعددت أسماء الملتان فلم تسمي بهذا الاسم من أول مرة لها بل سميت " كاشب بور" ثم "هنس بور "ثم" بك بور" ثم "ساب بور" ثم "مولستان" وبعدها تحول إلى ملتان نسبة إلى الصنم الأكبر الَّذِي يعبد فى الملتان، وينطقها أهل البلدة بملطان فيبدلون التاء بالطاء، وعندما فتح القائد محمد بن القاسم الثقفي الملتان سماها بالمعمورة، وبعد دخول المسلمون بها بعد ذلك أطلقوا عليها "فرج بيت الذهب" لكثرة ما وجدوا بداخلها من ذهب وخيرات (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٧، هامش ص٣٤؛ محمد حسن محمد أمام: مظاهر الحضارة فى إقليم الملتان منذ الفتح الإسلامى حتى العصر الغزنوي، رسالة علمية، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم دراسات وبحوث الحضارة، جامعة الزقازيق، لسنة١٤٣٣هـ–٢٠١٢م، هامش ص١١).

[٢] وفاء محمود: تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية فى الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب– جامعة القاهرة، يوليو٢٠٠٣م، ص٤٦.

طريقًا آخرَ غيرَ طريق الملك أندبال، فوجد الطريق مليئًا بالمطر الكثيف ويصعب عليه العبور من خلاله[٣]، خاطب وقتها الملك أندبال[٤] يستأذنه فى المرور من بلاده، وجدها الملك أندبال الفرصة المناسبة للانتقام، فرفض الطلب، اعتبر السلطان محمود رفض أندبال لطلبه تمرد وعصيان، فلم يجد تفسيرًا له غير ذلك، فقرر العبور من بلاده دون الاهتمام برأيه، فقصده محاربًا، لم يكنْ الملك أندبال على القدر الكافي من الاستعدادات لمواجهة الجيش الغزنوي وقرر الهرب مارًا ببعض البلاد حتَّى دخل كشمير.

فى الوقت نفسه تمكن السلطان محمود من دخول بلدة أندبال وأحرق أَبنيتِها وقتل الكثير منهم[٥]، وأكمل محمود طريقه قاصدًا أبا الفتوح، فوجده هاربًا تاركًا ولايته، فأضاف السلطان محمود لإملاكه بلدة جديدة[١]، وأراد أبو الفتوح الصلح فتعهد بتنفيذ الأحكام الشرعية ورجع عن مذهبه المُلحِد[٢]، ووافق على دفع جزية كل عام مقدارها ألف ألف درهمٍ[٣].

عاد الملك أندبال سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٩م، لمواجهة السلطان محمود الغزنوي، حاول تكوين تحالف هندي عسكري مع بعض ملوك الهند، وسعي على تجمعهم ليكونوا سدًا منيعًا فى وجه الزحف الغزنوي، فعمل على جهتين ليُؤثِّرَ عليهم، الأولي وجهها إلى حكام الإمارات الهندية موضحًا لهم مدى الأخطار والأضرار الَّتِي ستلحق بهم من ترك الغزنويين فى وطنهم، فطلب منهم أنْ يتركوا خلافاتهم الداخلية و يتجاوزوها ويدافعوا عن وطنهم وممتلكاتهم، حتَّى يستطيعوا أنْ يرموا بالغزنويين خارج الوطن، والأمر الثاني لعب على رجال الدين أقنعهم بأنَّ الهدف من الغزوات تدمير ديانتهم وأماكنهم المقدسة، وترسيخ الدين الإسلامي مكانه، ليشعل داخلهم الغيرة على دينهم ومقدساتهم،

---

[٣] فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٤ – ١٤٥؛ عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي، ص٢٠٥.

[٤] أندبال: تعنى عظيم الهند (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ٨، هامش ص٣٤).

[٥] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٨، ص٣٤؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٨١؛ عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي، ص٢٠٥.

[١] الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٥٥؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٨، ص٣٤؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٨١ – ٤٨٢؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص٨٤؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٥.

[٢] الهروي: المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني، جـ ١، ص٢٧؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الاسلام في الهند، ص٨٤.

[٣] ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٨، ص٣٤؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ ٤، ص٤٨٢؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٥؛ وفاء محمود: تاريخ الفرق والمذاهب، ص٤٧.

فطلب منهم المساندة والدعم، وذلك من خلال مكانتهم الدينية يخاطبون ملوك الهند لإقناعهم أنْ يشتركوا فى الحرب ضد الغزنويين.

نجح الملك أندبال فى ضم رجال الدين والعامة إليه، وبذل البراهمة الكثير من الجهود لجمع الأموال وإرسالها لإعداد الجيوش، وخطب فى الناس ليُحفِّزَهم للتصدي للعدو الغزنوي وعمل على إشعال غيرتهم على دينهم ووطنهم، حتَّى أنَّ المرأة الهندية تأثرت لقولهم فقدمت ما تملكه من مجوهرات وأموال، ومن لا تمتلك أموال أو مجوهرات اشتغلت بالنسيج فتأخذ الأجر ودفعت به لخزينة الجيش وغير ذلك من الأعمال لتساند الجيوش(٤).

والسلطان محمود يستعد لخوض المعركة مع الملك أندبال متوعدًا له على ما فعله معه وتحديًا له أثناء غزو الملتان(٥)، المرة الأولى فرَّ أندبال من مضيق إلى آخر هربًا من الجيش الغزنوي، ولكنِ هذه المرة كان فى كامل قوته وعلى أتمِّ استعداد لمواجهة السلطان محمود، فانضمَّ له ملك دلهي، وقنوج ، وكواليا ، وأجمير، وأدجين(٦)، فاتفق جميعُهم على إرسال جيوشهم إلى مدينة ويهند(٧) بالبنجاب، وأعداد الجيوش تزداد كل يوم حتَّى عظم الأمر(١) واكتملت الجيوش، وأُسندِت القيادة العليا إلى أندبال فعين كل ملك قائدًا على فرقته(٢)، بعدها تصادمت الجيوش وامتلأت ساحة القتال بدماء العساكر والجنود والدوابِّ من شدة القتال، واستطاع الهنادكة بكثرة أعدادهم وقوتهم واستماتتهم فى القتال أنْ يزلزلوا الغزنويين ويرهبوهم، فقُتل من جيش الغزنويين ما يقرب من ثلاثة إلى أربعة آلاف جنديٍّ، والهنادكة يُحسنون استخدام الفيلة فى الحروب فجعلوها أمامهم لتحميَهم من ضربات الجيش الغزنوي، وشعر الجميع بنصر الهنادكة(٣).

---

(٤) عصام الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص١٢٦؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٤٦-٢٤٧؛عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي، ص٢٠٦.

(٥) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص ٨٥ ؛ وفاء محمود: تاريخ الفرق والمذاهب، ص٤٧.

(٦) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص ٨٥؛ عبد الله حسين: المسألة الهندية، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة- مصر، لسنة٢٠١٢م، ص٧٤.

(٧) ويهند: قصبة جليلة أكبر من المنصورة ، لها بستاتين كثيرة وبها أنهار غزيرة وثمار حسنة (المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت- لبنان، مطبعة بريل، ليدن، لسنة١٩٠٩، ص٤٧٩).

(١) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ ٤، ص٤٨٤؛ عصام الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص٢٠-٢١؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص٩٨؛ العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي، ص٢٠٦.

(٢) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص ٨٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٨، ص٩٨؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٥.

وحدث ما لم يتوقعه أحد وهو شعور الفيل الَّذِي يعتليه الملك أندبال بالزعر والفزع إلى ان هاج وفر هاربًا بالملك تاركًا ساحة القتال، وعند رؤية الجند فرار قائدهم ظنوا أنَّه انسحابٌ من المعركة فتراجعوا عن القتال واتبَعوه، استغل الجيش الغزنوي ما حدث وقتل من تبقي من جيش الهنادكة و تمكنوا من تحقيق النصر[٤].

ترك السلطان محمود للجيش القضاء على من تبقي فى ساحة القتال من الهنادكة، واتبَع هو من هرب من أهل الملك أندبال فلاحق الأمير أبرهمن بال[٥] إلى أنْ وصل قلعة بهيم نغر وذكر بنكركوت أيضًا، الَّتِي اتخَذها الهنادكة خزانة لصنمهم الأعظم فينقلون إليها المجوهرات والذخائر بأنواعها ومكانها بجبل عال[٦]، وملوك وراجات الهند يرسلون إليها الأموال وكل نفيس لديهم[٧]، تحصن الأمير بداخلها مع حاشيته، ثُمَّ قرر مقابلة الجيش الغزنوي فدار بينهم القتل واستمر ثلاث أيام إلى أنْ استسلم أبرهمن بال وطلب من السلطان محمود الأمان، وفُتحت أبواب القلعة ودخلها السلطان محمود مع خاصته[٨]، وضم إلى حوزته كل ما كان بها من ذهب وفضة وماس والأموال، وهى هدايا وقرابين مقدمة للصنم ويحتفظ بها البراهمة داخل بيت الصنم.

فى الوقت نفسه كان الملك أندبال يحاول أنْ يعيد تجمع الملوك حوله مرة ثانية ليكمل حربه، فوجد أنَّ ملوك الهند فقدوا فيه الثقة، ورفضوا الانضمام له، ووعدهم بالنصر هذه المرة فلم يستجبْ أحدٌ له.

أيقن الملك أندبال استحالة وقوفه بمفرده أمام الجيش الغزنوي، وقرر الاستسلام وقبل بالأمر الواقع، فأرسل إلى السلطان محمود يطلب منه الصلح، وتَعهَّد له بدفع مالٍ سنويًا وخمسين فيلًا وأنْ يُزود الجيش الغزنوي بألف فارسٍ وعدم تعرضه أو التصدي

---

[٤] الكرديزي: زين الأخبار، ص ٢٥٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٨، ص٤٨-٤٩؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٨٤.

[٥] أبراهيمن بال: هو العالم في لغة الهند وجمعه البراهمة ويقال لخادم الوثن (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، هامش ص ٤٨).

[٦] ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، ص٤٤٨؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٥؛ وفاء محمود: تاريخ الفرق والمذاهب، ص٤٧

[٧] الهروى: المسلمون في الهند، جـ١، ص٢٧؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية نظرات فى شمال الهند، الجزء الأول، ص٨٨ .

[٨] العتبى: اليميني، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ج٤، ص٤٨٤.

للسلطان محمود ولجيش الغزنويين إذا طلب المرور من بلاد البنجاب، صالحه السلطان محمود على ما سبق بعدها تبادلت القوافل التجارية بين غزنة وبلاد الهند فى أمان[١].

هدد حاكم مدينة تهانيسر[٢] الكيان الغزنوي فقام بالهجوم على أملاك الدولة الغزنوية بالأراضي الهندية، وساعده فى الهجوم أفيال الصيلمان الَّتِي يملكها، فهى تُعدُّ من أقوي الأفيال على الإطلاق فلا يستطيع أحدٌ هزيمتها أو منافستها لكونها مدربةً بشكل جيد على الحرب، وهذا على عكس طبيعة حكام الولايات الهندية فحكام الأراضي الهندية لا يشنون الغارات علي الآخرين[٣]، دائمًا كانت المناوشات من الدولة الغزنوية رغبةً فى توسيع رقعة دولتها وضم الكثير من البلدان تحت طاعتها.

انزَعج السلطان محمود من فعل حاكم تهانيسر، وقرر الذهاب إليه ومعاقبته بتحطيم صنمهم الأعظم جكرسوم الَّذِي ذُكر أيضًا بجاك الثالث، شَبَّهه المؤرخون فى شدة تعظيمه بأنَّه مثل مكة المكرمة لدي المسلمين[١]، فهو قديم للغاية وقيل لا يعرف أحدٌ تاريخ نشأته.

استعدَّ السلطان محمود وجهَّز الجيش لاقتحام بيت الصنم وإزالته[٢]، فالمعاهدة القائمة بين السلطان محمود والملك أندبال جعلت بينهم حوار وكتابات، فارسل الملك أندبال للسلطان محمود خطاب يطلب منه ترك الصنم، وشرح له قدر الصنم ومكانته لديهم وأن ما حدث بمعابدهم أثناء غزواته السابقة ليس بقليل، وعرض عليه مالًا

---

[١] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء٣، الطبعة الرابعة عشر، دار الجيل، بيروت– لبنان، بالاشتراك مع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة الطبع ١٤١٦هـ–١٩٩٦م، جـ ٣، ص٩٨؛ عصام الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص٢١؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٥– ١٤٦؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية نظرات في شمال الهند، ص٩٠؛ فتح الله عبد الباقي الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي، ص٢٤٩–٢٥٠؛ وفاء محمود: تاريخ الفرق والمذاهب، ص٨٠؛ سوادي عبد محمد وميسون خلف عليوي: الجيش الغزنوي طبيعته وتنظيماته، جامعة النجف– الكلية الاسلامية– جامعة البصرة– كلية الآداب/ مجلة آداب البصرة ، العدد٥٦، لسنة٢٠١١م، ص١٦٤– ١٦٥؛ العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند، ص٢٠٦.

[٢] تهانسير: كانت بلدة كبيره في القديم، وهو مكان عظيم به أصنام كثيرة، وهو عند الهنادكة مثل مكة المكرمة عند المسلمين، ويقدس الهنود هذه البقعة تقديسا عظيما وفي هذه المدينة يوجد معبد عتيق به صنم يسمونه "جكرسوم (الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٥٧).

[٣] الأعظمي، أورنك زيب: الهند كما يصفها أخبار الصين والهند، مجلة وحدة الأمة– مجمع حجة الإسلام– الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند– الهند، العدد السادس، لسنة١٤٣٧هـ– ٢٠١٦م، ص٢٠١.

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ ٨، ص٨٢؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص ٩٧؛ وفاء محمود: تاريخ الفرق والمذاهب، ص٤٤٧؛ فتح الله عبد الباقي الصفتى: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٥٤؛ العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي في الهند، ص٢٠٧.

[٢] الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٥٧؛ وفاء محمود: الرسالة السابقة، ص٤٧.

ومجوهرات، وأن يرسلوا له كل عامٍ خمسين فيلًا، ويترك لهم الصنم ولا يتعرض له بأذى، رفض السلطان محمود ورد علي الملك أندبال قائلا: "إنَّنَا المسلمون نعمل أولًا على نشر الإسلام وهدم معابد الأصنام، ونعتقد أنَّنَا سنجد أضعافًا من الأجر والثواب عند الله ولا حاجة لنا إلى المال"[٣]، فقرر الهنادكة التصدي والدفاع عن صنمهم، أمر حاكم تهانيسر عساكره تجهيز كمائن على جانبي الطريق ليختبئوا بداخلها فيُنزلوا الهزيمة بالجيش الغزنوي قبل وصولهم للصنم.

نجح الهنادكة في قتل أعداد كبيرة من الجيش الغزنوي، وتمكن البعض من الفرار وإكمال الطريق، حتَّى وصل نهر جون وهو نهر شديد الجريان صعب العبور، وعلى الضفة الثانية كان ينتظرهم حاكم المدينة مع عساكره والفيلة، ولتعزيز الموقف أكثر أرسل حاكم المدينة إلى ملوك الهند يدعوهم للوقوف صفًا واحدًا في وجه الزحف الغزنوي، منهم من استجاب لدعوته.

أسرع إليهم السلطان محمود قبل أنْ يجمعوا شملهم، فعبر مع الجيش النهر، وبدأ في إرسال مجموعات الواحدة تلو الأخرى لعبور النهر، حتَّى يُشغلوا جيش الهنادكة بالمناوشات ليتمكن باقي الجيش الغزنوي من العبور، لم يستطعْ الهنادكة الحفاظ على مدينتهم فتركوا مدينتهم وصنمهم بعد أنْ قُتلَ منهم الكثير، واستولى الجيش الغزنوي على المعابد وما بداخله من مال ومجوهرات وحطَّم الأصنام[٤].

وصنمهم الأعظم جكرسوم أخذه السلطان محمود الغزنوي معه إلى غزنة وألقى به في الطريق، فتناقلت الأقاويل أنَّ السلطان محمود أراد أنْ يثبت للجميع عدم قدرة الصنم في الدفاع عن نفسه، وتناقلت الأخبار أنَّ من كثرة الأسري في الغزوة ظهرت مدينة غزنة في ثياب جديد وكأنها مدينة هندية كما ظهر بها أفيال الصيلمان ضمن أفيال الجيش الغزنوي[١].

توفي الملك أندبال وانتقل حكم الولاية إلى ابنه تروجيبا، وعُرف عن تروجيبا أنَّه من الملوك المسالمين، لم يظهر له أيُّ تأثيرٍ تجاه الكيان الغزنوي لا سلم ولا حرب

---

[٣] الهروي: المسلمون في الهند، جـ١، ص٤٢٧؛ فتح الله عبد الباقي الصفتي: الرسالة السابقة، ص٢٥٤.

[٤] فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٦؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية نظرات في شمال الهند، جـ ١، ص٩٩-١٠٠.

[١] العتبى: اليميني، ص٣٥٠-٣٥١-٣٥٢؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص٨٧- ٨٨؛ فتح الله عبد الباقي الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٥٥-٢٥٦.

بينهم، فالملك تروجيبا أمام الجميع هو حاكم الولاية وحقيقة الأمر المُتحكم الفعلي فى جميع شُؤُون المملكة وبيده مقاليد السلطة ابنه نادر بهيم، قال البعض أنَّ الملك تروجيبال صاحب شخصية ضعيفة، أمَّا ابنه فكان على عكس أبيه، والدليل على ذلك مخالفة سياسة أبيه فى علاقته مع حكام الدولة الغزنوية واتبَع سياسة جده أندبال فى عدائه للدولة الغزنوية، ورفض دفع الجزية وإرسال المستحقات.

فى الوقت نفسه الدولة الغزنوية كانت قد حققت الكثير من الانتصارات على الهنادكة[٢]، ومن السهل إخضاع المتمردين عليها، فقرر السلطان محمود أنْ يُنهيَ عصيان نادر بهيم، أعدَّ السلطان الجيش وتحرك به قاصدًا نادر بهيم وأباه تروجيبال، فأسرع الملك تروجيبال فى تأمين بلاده وتعيين حراسة قوية للدفاع عن الحصن، ثُمَّ أسند إلى ابنه نادر بهيم القيادة وترك له إدارة الأمور، وتوجه بنفسه إلى وادي كشمير.

أكمل نادر بهيم تجهيزات الجيش لمقابلة الغزنويين، وأرسل إلى ملوك الهند وأمراءها يطلب منهم أنْ يَدعَمُوه ويَمدوه بالمساعدات، واختار منطقة يُحارب منها يصعب على الغزنويين الوصول إليها، فعسكر بين جبلين، وبالفيلة الضخمة القوية سد مداخل ومخارج المنطقة، وبدأ فى إضاعة الوقت حتَّى تصل إليه الإمدادات، أو ييأس الغزنويون من طول الانتظار فيذهبون عنهم ويعودون إلى بلادهم.

طالت المدة واستمر الوضع على ما هو عليه مدة شهرينِ، حدثت فيها بعض المناوشات، حتَّى وصلت الإمدادات، والتقى الفريقانِ بموقعة ناردين[٣]، وانقسم جيش الهنادكة إلى ميمنة وميسرة والقلب، والأفيال جعلوها فى المقدمة درعًا لهم تتلقى الضربات، اشتدَّ القتال فكل من الفريقينِ أبلاء بلاءًا حسنًا، وسار ما لم يتوقعه أحدٌ من الفريقينِ، فالملك نادر بهيم لم ولن يخطر على باله ولو للحظة واحدة أنْ تخونَهُ أفيالُه وتكونَ سبب هزيمتهم، خاصة أنَّهم أكثر الناس استخدامًا للفيلِ أثناء الحروب، من شدة الضربات وقسوة السهام الموجهة هاجت الافيال وأخذت فى الرجوع إلى الخلف، تسبب ذلك فى دهس مَن خلفها من العساكر والجنود، وأثر بالسلب على الحرب.

---

[٢] فتح الله عبد الباقي الصفتى: الرسالة السابقة، ص ٢٥١.

[٣] ناردين: وردت أيضًا نارين وهي قصبة كجرات في الهند الحالية قرية علي حدود الباكستانية، ويبدو أنَّها سميت باسم نارايين، وهو أحد معبودات الهند قلعة ناردين على جبل بالناتهة (العتبى: اليميني، هامش ص٣٢٠؛ فخر الدين الحسينى: الهند فى العهد الاسلامي، ص١٤٦).

خسر الملك نادر بهيم الكثير من جنده وأصبح غير محصن، وتمكن السلطان محمود من دخول البلدة، وهرب نادر بهيم ليلحق بوالده فى كشمير، فتوجه السلطان محمود لقلعة نندنه وهى حصن الملك تروجيبال، فاستَحوز عليها بعد قتال شديد مع سكانها، ثُمَّ توجه نحو كشمير ليمسك بتروجيبال وابنه نادر بهيم لكن لم يتمكن من الوصول لهم، وكان ذلك سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م[1].

استطاعت الدولة الغزنوية أنْ تُحقق قاعدة عسكرية بالأراضي الهندية، وتمكنت من إخضاع كثير من راجات الهند، وسارت بينهم معاهدات تَضمن للطرفين الأمان والتعايش السلمي، ومع ذلك وإنْ طال بالدولة الغزنوية العهدُ بالأراضي الهندية فهى _فى نظر أهلها الأصليين_ مُحتلةٌ، سَالبةٌ الثروات مخربةٌ للحضارات، فمحمود الغزنوي عادة ما يصور على انه ايقونة للمحارب الذى دمر المعابد والصور مبرر ذلك فى حماسته للإسلام[1]، وهذا ما جعلنا نرى المحاولات متكررة فى التخلص من الوجود الغزنوي، فهناك من أصر على التصدي والمقاومة ورفض الخضوع أو التابعية لها، منهم حاكم مدينة مهاون الملك كلجند وهو أحد الملوك المنسوبين لأعيان الهند، نجده رافضًا الوجود الغزنوي وتدخله بشؤون البلاد.

كلجند ذو شأنٍ بين راجات الهند لم يقصده أحد إلَّا رجع عنه مهزومًا، نجح فى تأسيس مكانة وسمعة لنفسه فى الإطار المحلى وعُرف عنه كفاءته العسكرية، عُرف تفوقه فى العدة والعدد، واستطاع تنظيم حصونه المنيعة القوية بشكل جيد لم يشبهه فيها أحد، لم يترك لحصنه غيرَ طريقينِ، طريق معتاد يسلكه الجميع، وآخر ممر جبلي ضيق لا يعرفه إلَّا القليل، أراد السلطان محمود محاربته وإخضاعه مثل غيره من راجات الهند المتمردين، فعندما علم بقدوم السلطان لحصنه أعلن حالة الطوارئ، اشتغل على تأمين الطريق المعتاد لمدينته بشكل كبير ليصعب على الجيش الغزنوي السير عليه، وأمر عساكره أنْ يختبئوا فى الغابات والأحراش ورؤوس الجبال للعساكر الغزنويين حتَّى يُوقعوا بهم، والطريق الثانى المؤدي إلى مدينته ظن عدم معرفة أحد به

---

[1] العتبى: اليميني، ص٣٤٧-٣٤٨-٣٤٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية،جـ١٥، ص٥٥٣؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٨٧؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص٩٨؛ عصام الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص١٢٦؛ وفاء محمود: تاريخ الفرق والمذاهب، ص٤٨؛ فتح الله عبد الباقي الصفتى: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٥٢-٢٥٣.

وعدم معرفة السلطان محمود له، فلم يحمل له هَمًا، فجلس على عرشه مُنتظرًا قدوم السلطان الغزنوي وجيشه.

تحرك السلطان محمود مع عساكره وجنده قاصدين الملك كلجند، وفاجئوه بدخول المدينة عبر الممر الجبلي الضيق، وهذا مالم يحسب له حساب الملك كلجند فتبادل الضربات، وجيش الهنادكة لم يستطيعوا الصمود أكثر فكل إعداداتهم كانت فى الناحية الأخرى، هرب الكثير منهم إلى نهر جمنا ليكون لهم نجاة من سيوف الغزنويين فغرق معظمهم، وشعر كلجند بصعوبة الموقف ورأى أنَّ مصيره إمَّا الأسر أو القتل، فأسرع إلى زوجته أنيا وقتلها ثُمَّ قتل نفسه فرارًا من الَّذِي ينتظره[1].

لم تكن حرب كلجند نهاية الحروب بين حكام الإمارات والسلاطين الغزنويين، على العكس كان الوضع يزداد توترًا وإنْ كان الظاهر غير ذلك، لم يفرط حُكامُ الإمارات فرصةً للتخلص من الاحتلال الغزنوي إلَّا استغلوها، فالملك بيدا حاكم مدينة كجوارة عزم على التصدي للسلطان محمود الغزنوي، عندما علم راجات الهند باستعداد الملك بيدا وتجهيزه لقواته التفوا حوله على أمل أنْ يُخلصهم، ويُساعدهم فى استرداد حقوقهم، وزاد إصرارهم على المشاركة فى الحرب المعروف عن الملك بيدا بكونه أفضلهم جيشًا وعددًا وتجهيزًا للجيش، كما أنَّه على قدر كافٍ من الحكمة والوعي السياسي، وقد سبق أنْ أرسل إلى حكام الإمارات المهزومة رسائل يُوبخهم ويَلوم عليهم استسلامهم أمام الغزنويين وتركهم أراضيهم وهروبهم، وخص باللوم الملك كورة حاكم مدينة قنوج، فطال بينهم الكلام والعتاب على استسلامه ودخوله فى دين الإسلام، ثُمَّ طلب منه الانضمام فى التحالف المقام ضد السلطان محمود وجيشه، وعودته إلى دينه ويترك دين الإسلام، رد الملك كورة بالرفض، الَّذِي تسبب فى غضب الملك بيدا كما قرر معاقبته وأنْ يجعله يندم على رفضه، وهاجم ولايته فقتله وضم أملاكه إلى ولايته[2]، وهذا ما جعل الكثير من حكام الإمارات يشعرون بأنَّ النصر حليفهم هذه المرة.

---

[1] العتبى: اليميني، ص ٤٠٣-٤٠٤؛ الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٦٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٩٥؛ نظام الدين الهروي: المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني، جـ١، ترجمة عن الفارسية أحمد عبد القادر الشاذلي، دار الهيئة المصرية العامة للكتب، كلية الأداب- جامعة المنوفية، لسنة١٩٩٥، ص٢٩؛عصام الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص١٢٧؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٧.

[2] الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٦١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٨، ص١٢٣؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٩١؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص٩٩-١٠٠؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٤٨؛ محمد بن ناصر

خلع بعض حكام الإمارات خِلعة السلطان محمود الغزنوي ورفضوا تنفيذ العهود المقامة بينهم، متوجهين بقوادهم لمساندة الملك بيدا، فكان من أبرز الحلفاء الملك بروجيبال، فهو يمتلك جيشًا قويًا يُعادل قوة جيش الملك بيدا، قبل أنْ تلتقي جيوش الملوك أسرع إليهما السلطان محمود مع جنده قاصدًا الملك بروجيبال وعند اقترابه من الولاية وجد نهرًا عميقًا يَفصل بينهم ويمنعهم من الوصول، ففكر في أنْ يرسل من جيشه فريقًا وراء الآخر يعبرون النهر ويُشغلون جيش الملك بروجيبال بالقتال ليتمكن بقية الجيش من العبور فنجحت خطته، وباكتمال الجيش الغزنوي التقى الفريقانِ واشتدَّ القتال وتمكن الغزنويون من إنزال الهزيمة بأعدائهم وقتل الكثير من جيش الملك بروجيبال، وأصيب الملك بجرح، فلحق جند السلطان بالهاربين من المعركة، وطلب الملك بروجيبال الأمان من السلطان محمود، فاشتَرط عليه لقبول طلبه أنْ يدخل في الإسلام، رفض الملك بروجيبال، وحاول الوصول للملك بيدا، وأثناء سيره إليه قُتل من قاطعي الطريق من الهنود[1].

لم يقتصر التحالف على الملك بيدا والملك بروجيبال فهناك من كان يساند ويدعم بالإمدادات مثل الملك راجيبال حاكم إمارة باري[2] الَّذِي بعث بالإمدادات والمساعدات للملك بروجيبال أثناء حربه مع السلطان محمود لتقوي شوكته ويساعده فى هزيمته، فما حدث للملك بروجيبال جعل الملك راجيبال قلق من السلطان محمود أنْ يعاقبه على فعلته، فهرب تارك ولايته فارغةً بدون أهلها وحرسها، ذهب إليه السلطان محمود ليعاقبه فوجد الإمارة فارغةً، دخلها وحطَّم أصنامها وحرق معابدها، أثَّر ذلك فى نفوس حكام الإمارات الَّذِين خلعوا طاعة السلطان محمود فراجعوا أنفسهم سريعًا وعادوا مرةً ثانية إلى إرسال الجزية إليه[3].

العبودي: الرحلات الهندية نظرات في شمال الهند، ص١٠٢؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٦٢؛ عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي، ص٢٠٨.

[1] ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٩١؛ نظام الدين الهروى: المسلمون فى الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني، جـ١، ص٣٠-٣١؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية نظرات في شمال الهند، جـ١، ص٩٢؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص ٢٦٢-٢٦٣؛ سوادى عبد محمد وميسون خلف عيلوي: الجيش الغزنوي، ص١٦٥.

[2] بارى: مدينة من مدن الهند، وهى كرسي مملكة من ممالك تلك الناحية في شرقي الهند (ابن سباهي زادة: أوضح المسالك، ص١٩٠).

[3] الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٦١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ٨، ص١٢٤؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٩١؛ محمد بن ناصر العبودى: الرحلات الهندية نظرات فى شمال الهند، جـ١، ص٩٣؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص ٢٦٣.

أصر حاكم ولاية كجوراهة على خوض المعركة وإسقاط الدولة الغزنوية، فأعدَّ الجيش بكل ما يحتاج إليه، حتَّى وصل عددُهم إلى ما يقرب من ستة وثلاثين ألف فارس، وخمسة آلاف ومِائَة وأربعين مُترجِلًا، وستمِائَة وأربعين فيلًا، وعسكروا جميعًا بالقرب من أحد الأنهار، ثُمَّ أمر الملك بيدا بفتح المياه لتغرق الأرض وتصبح مستنقعاتٍ واسعةً، يصعب على الجيش الغزنوي عبورها، فينجحوا فى تقليص حركتهم فلم يبقَ أمام الجيش الغزنوي إلَّا طريق واحد ضيق فأمَّنه بشكل كبير وأخضعوا كل شيءٍ فيه لمصلحتهم.

اقترب السلطان محمود من موقع الملك بيدا وأرسل إليه يدعوه إلى الإسلام قائلًا: "أَسلمْ تَسلمْ من هذه الحروب وهذه المحنة وهذا الفساد"، فالرسالة ظاهرها دعوة سلام وباطنها تهديد وتوعد، والملك بيدا لم يكن أقلَ قوةٍ من السلطان محمود لذلك رد عليه قائلًا: "لن يكونَ معك أمرٌ غير الحرب"[٤]، فبدأ كلٌ منهما يرسل مجموعات من المقاتلين لساحة المعركة، ودارت معركة شديدة، أوقفها ظلام الليل، وفى الصباح الباكر وقبل أن يشعر أحد ترك الملك بيدا وعساكره أرض المعركة، تاركين خلفهم الكثير من متاعهم، لكنَّ الجيش الغزنوي تتبعهم وقتل الكثير منهم، وتمكن الملك بيدا من الفرار، وفى إحدى الغابات القريبة عثر السلطان محمود ما يقارب من خمسمِائَة وثَمانين فيلًا، كما أنَّه نظَّم أمور البنجاب وعاد إلى غزنة[١].

حكام الولايات الهندية وسكانها لا يستسلمون ويعملون على الإطاحة بالكيان الغزنوي خارج وطنهم، فمع كل ما حققته الدولة الغزنوية من انتصارات، نجد حاكم قلعة كواليار الَّتِي ذُكرت أيضًا بقلعة كواكير الملك نندا يُجهز ويُعدُّ العدة لمحاربة السلطان الغزنوي، فالقلعة تضم الكثير من الخلق وبداخلها ستمِائَة صنمٍ، وتُزينها المياه والمزارع، فحظي أهلها بأفضل سبل العيش[٢].

---

[٤] الكرديزى: زين الأخبار: ص٢٦٢؛ نظام الدين الهروي: المسلمون في الهند، جـ ١، ص٣١؛ فتح الله عبد الباقي الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٦٤.

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٨، ص١٢٤–١٢٥؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٩١؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص١٠٠؛ عصام الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص٢٤؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي ص١٤٩–١٥٠؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية نظرات في شمال الهند، جـ١، ص٩٣؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٦٥؛ عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي، ص٢٠٩.

[٢] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ١٥، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا– مصطفى عبد القادر عطا، راجعة وصححه نعيم زرزور، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، لسنة١٤١٢هـ–١٩٩٢م،ص ١٥٩؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ

أمَّن الملك نندا المداخل والمخارج بشكل جيد، فعندما وصل اليها السلطان محمود وجدها مرتفعة الأسوار مبنيةً من الحجارة الصلدة، الحفارون والرماة لم يستطيعوا إحداث ثغر فى جدرانها، فلم يجد حل غير محاصرتها من جميع جوانبها حتَّى يضيق الأمر عليهم فيطلبون الأمان أو أنْ يحدث قتال، طال الوقت وسارت بينهم مناوشات، إلى أنْ نفذ صبر أهلها من صعوبة الحصار وطلبوا الأمان، فوافقهم السلطان محمود[٣].

يبدوا أنَّ الملك نندا يُبيت للسلطان محمود نية أخرى غير الصلح، لذلك هرب إلى قلعة كالنجر[٤]، وهي قلعة على تل عالٍ مرتفع لم يكن لها غيرُ طريق واحد، تستوعب خمسمِائَة ألف شخصٍ وخمسمِائَة فيلٍ وعشرين ألف دآبَّة، وطعام بها يكفي لمدة طويلة، احتمى نندا بداخلها مع حاشيته وأقاربه، هروبه جعل السلطان محمود يشك فى أمره فتتبعه وحاصر قلعته ما يقرب من ثلاثة وأربعين يومًا[٥]، حتَّى استسلم الملك نندا، وأرسل يطلب الصلح، السلطان محمود وافق علي أنَّه يدفع جزية سنوية ويقدم خمسمِائَة فيلٍ وثلاثة آلاف من الفضة[١].

أراد الملك نندا هذه المرة كسب ثقة السلطان محمود فأرسل إليه مع الجزية هديةً مكونة من أبيات شعر يمدحه فيها، رحَّب بها السلطان محمود، وعرضها على رجال الشعر من الهنود والعرب والعجم ليَعرف مدي جمالها، قالوا له: "ليس من الممكن نظم كلام أبلغ ولا أرفع منه"، أُسعد السلطانُ كثيرًا بكلامهم، وأرسل إلى الملك نندا يُبلغه تعيينه وليًا على خمسَ عشرةَ قلعةً قائلًا: "هذا عطاء ذلك الشعر الَّذي نظمته من أجلنا"، وأرسل له الهدايا[٢]، عاد رجال السلطان محمود يحملون من عند الملك نندا الكثير من

والخبر، ج٤، ص٤٨٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠١؛ عمر صالح العمري: فتوحات السلطان محمود الغزنوي فى بلاد الهند، ص٢٠٦.

[٣] الكرديزي : زين الأخبار، ص٢٦٣؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص٨٩؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٥٠؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية، جـ١، ص٩٣؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٦٧.

[٤]) كالنجر: حصن حصين على جبل شاهق، فيه الغياض والآجام والعيون الجارية، والأرض الصالحة للزراعة، وسهول واسعة وابنية عالية (فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص٩٩).

[٥] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك، جـ١٥، ص١٥٩؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، ج٤، ص٤٨٢؛ فخر الدين الحسنى: الهند في العهد الإسلامي، ص١٥٠.

[١] ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر،ج٤، ص٤٨٢؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٥٠؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية في الهند، ج١، ص٩٣؛ وفاء محمود: تاريخ الفرق والمذاهب، ص٨٠؛ عمر صالح العمري: فتوحات السلطان محمود الغزنوي، ص٢٠٦

[٢] الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٦٤؛ نظام الدين الهروي: المسلمون في الهند، ج١، ص٣٢.

الهدايا الثمينة من بينها طائر من خصائصه إذا وُجد طعامٌ مسمومٌ دمعت عينه وجري منها ماء وتحجر، وما ينزل من عينه يُطلي به الجراحات الواسعة فيُلحِمُها، وهذا في سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م[٣].

دار حديث بين سكان الأراضي الهندية على ما يحدث في بلادهم من احتلال ولأصنامهم من تهشم بأنَّه ليس بسبب قوة الغزنويين ولا حسن تصرف منهم، لكن الحقيقة غضب صنمهم الأعظم سومنات منهم، فتركهم لم يُدافع عنهم، وإنْ كان راضيًا ما ترك الغزنويين، فبدأ براهمة المعبد محاولة ارضاءِ الصنم، وبعثوا إلى الرجات يمدونهم بالأموال والفيلة والعدة وكل ما يحتاجون إليه لتكوين تحالف هندي جديد يتصدى للغزنويين[٤].

لسومنات مكانة عظيمة فى الهند، فهو أعظم أوثانهم[٥]، له وقف يزيد عن عشرة آلاف قريةٍ، يُصرف منها على عبادته[٦]، يَحجُّ إليه الخلق من جميع البلاد، فيحملون إليه كل يومٍ المياه من نهر الكنك المقدس لديهم، فهم يُلقون فيه ما تبقى من رماد أجسام موتاهم بعد الحرق اعتقادًا منهم أنَّه يُساق إلى جنة النعيم، فالمسافة بعيدة بين النهر ومعبد سومنات مائتا فرسخٍ، ومع ذلك تُحمل منه المياه كل يوم فيغسلون الصنم به مع اللبن والعسل.

كما اعتقد الهنود أنَّ الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت حول الصنم، فيعيدها مرةً أخرى فيمن يشاء ويسمي هذا بتناسخ الأرواح، وأنَّه يُبرؤُ من جميع الأمراض، مَن يذهب إليه مريض يرجع عنه وكان لم يكن به شيءٌ، ومن لا يشفى فقد حدث منه ذنب أغضب الصنم ولهذا لم يُشفَ.

وأرجع الهنود ظاهرة المد والجزر الَّتي تحدث من البحر أنَّها عبادة البحر للصنم، فمن يرد التقرب منه عليه تقديم القرابين، وإعطاء سدنة المعبد المال الوفير، ومع تباعد

---

[٣] ابن الجوزي: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، جـ١٥، ص١٥٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، جـ٧،حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت– لبنان، لسنة١٤١٤هـ–١٩٩٤م، ص١٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٥، ص٥٩٨؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت– لبنان، د.ت، ص١٠١؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٦٨.

[٤] فتح الله عبد الباقي: الرسالة السابقة، ص٢٧١.

[٦] شمس الدين الأنصاري: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، مدينة بطربورغ المحروسة، لسنة١٢٨١هـ–١٨٦٥م، ص٤٦؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ٢، حققها أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، لسنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٣٤؛ العمرى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ٢٦، ص٢١٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ص٩٠.

أقطار الهند وتفاوت أديانها لا يوجد ملك أو أمير أو شخص حتَّى وإنْ كان بسيطًا إلَّا تقرَّب لهذا الصنم وقدَّم أغلى ما يملك من أموال ومجوهرات.

كما خصص لسومنات من البراهمة ألف رجل يقومون على عبادته وتأدية الطقوس وتنظيم وتقديم الوفود القادمة إليه، وأمام المعبد يقف ثلاثُمِائَة رجلٍ لحلق رؤوس الزوار ولِحَاهم، وثلاثُمِائَة رجلٍ آخرَ وخمسمِائَة امْرَأةٍ يغنون ويرقصون ويقيمون الحفلات الدينية على بابه(١).

أمَّا المدينة الَّتِي يسكنها سومنات تطل على شاطئ بحر العرب، لكي تصل إليها لابد من اجتياز صحراء الثأر أكبر صحراء الهند وأشدها خطورة، طريقها مليئٌ بالكثير من الأخطار، خشىَ الإسكندر المقدوني على نفسه وجيشه اقتحامها قبل سابق(٢).

تأكد السلطان محمود الغزنوي أنَّ سومنات خطرٌ يهدد الكيان الغزنوي بالأراضي الهندية، ولبقاء الدولة الغزنوية لابد من تحطيم الصنم، لكي يثبت لأهل تلك البلاد كذب ادعائهم.

بدأ السلطان محمود فى إعداد الجيش لمعركة لم يُشهد مثلُها من قبلُ، يبدو أنَّه أنفق فيها كل ما ادخره فى المعارك السابقة، وهنا تسائل المؤرخون ما السبب الَّذِي يدفع بالسلطان محمود إلى التضحية بكل ما أسسه من إمبراطورية عسكرية وثروات عملت على انتعاش الحالة الاقتصادية لدولته؟ هل السبب الحقيقي إثبات كذب ما يقوله أهل تلك البلاد؟ أم هناك أسباب أخرى دفعتهم للمعركة ؟ والأموال والغنائم لها دور فى هذه المعركة؟ أم الدافع ديني وسياسي فقط؟

اختلف المؤرخون حول الدافع وراء معركة سومنات، وقالوا: إنَّ هناك أسبابًا وليس سببٌ واحد، ذهب البعض أنَّ السبب هو الرغبة فى الأموال والغنائم والمجوهرات، لعلمه أنَّ الصنم به أضعاف ما وجد بالمعابد الأخرى(١)، وفريق آخر من المورخين قال: الدافع ديني يريد أنْ يُثبت افتراء قولهم فيما شاع بينهم أنَّ غضب سومنات عليهم

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص١٤٨؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٩٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، جـ٥، أشرف على تحقيقه وأخرج أحاديثه عبد القادر الارناؤوط- حققه وعلق عليه محمود الارناؤوط، الطبعة الأولي، دار أبن كثير، دمشق، بيروت، لسنة ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص٩٠؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٥٠؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٦٩ ؛عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند، ص٢١٠.

(٢) فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص ٢٦٩.

(١) فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٧٠.

هو الَّذِي مكن الغزنويين من تحقيق كل ما حققه فى الأراضي الهندية، وقال إذا شاهدوا كذب ادعائهم يكون ذلك سبب فى دخول الكثير منهم دين الإسلام[٢]، وفريق ثالث قال: الدافع سياسي وهو الخوف على الكيان الغزنوي والمركزية الَّتِي حققتها الدولة الغزنوية بالأراضي الهندية، لكون سومنات من أهم وأخطر المقاومات الهندوسية فى وجه الفتح الغزنوي، إذا كُتب للتحالف الهندي النجاح فستفقد الدولة الغزنوية كل ما حققته من مكاسب سياسية داخل الهند[٣]، ولكنِّى أظن أنَّ كل الأسباب السابقة كانت فى حسابات السلطان محمود فجميعها سواءٌ كانت سياسية أو دينية أو مادية تصب فى مصلحة الدولة الغزنوية.

أنفق السلطان محمود الغزنوى كل ما ادخره فى تجهيز الجيش، وأخضعهم لتدريبات قوية لكي يُؤهلهم لتحمل السفر وعناء اجتياز صحراء الثأر، وما ينتظرهم من مقاومات[٤].

فى منتصف شهر شعبان لسنة ٤١٦هـ/أكتوبر١٠٢٧م، تحرك الجيش الغزنوي المكون من ثلاثين ألف مقاتلٍ غير المتطوعين[٥]، إلى أنْ وصلوا مدينة الملتان ازدادوا عشرين ألفَ جملٍ ماء وعلفٍ لتعينهم على اجتياز صحراء الثأر[٦]، والهنادكة على أتمِّ استعداد للمواجهة، يُخططون على منع الغزنويين من الوصول إلى سومنات، فمُلِئَ الطريق بالكمائن والصعوبات ليوقعوهم، وحدثت مناوشات وقتال، ونزعوا المياه من الآبار وردموها حتَّى ينفذ ما عند الجيش الغزنوي ولا يجدوا ما يتزودون به فيموت الكثير والمتبقي يسرع للعودة إلى بلاده خوفاً من الهلاك، فتدريبات الجيش الغزنوي مكَّنته من التغلب علي تلك الصعاب وإصلاح الآبار وانتفع منها ثُمَّ رحل عنها إلى موقع سومنات[٧].

---

[٢] ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص١٤٨؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٩٢؛ عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٩١؛ عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند، ص٢١٠.

[٣] عصام الفقي: الدول المستقلة فى المشرق الإسلامي، ص١٢٨؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٧١.

[٤] أحمد محمد الجوارنه: المعارك الإسلامية فى الهند، جامعة اليرموك– الاردن، د.ت، ص٢٩–٣٠.

[٥] ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص١٤٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، جـ٥، ص١٧٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٧، أشرف على تحقيق الكتاب وأخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط– حقق هذا الجزء اكرم البوشي، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، لسنة ١٤١٧هـ–١٩٩٦م، ص٤٩٠؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٢٩؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص٩١؛ فخر الدين الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص١٥١؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٧١.

[٦] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ١٥، ص١٨٢؛ عصام الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، ص٢٥.

[٧] فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٧١–٢٧٢.

التقى الجيش الغزنوي فى طريقه إلى سومنات بعدة حصون ومدن وأول ما التقى كان بمدينة انهلوارة[١]، ويبدو أنَّ حاكمها الملك بهيم ديو لم يكن على أتمِّ استعداد لمواجهة الجيش الغزنوي، لذلك ترك أهلها يدافعون عنها وهرب هو لقلعة وسط البحر تعرف باسم كندهة[٢]، وهروبه أثرَّ بالسلب على سكان المدينة ففشلوا فى صد الجيش الغزنوي، استولي السلطان محمود على المدينة ولم يهتم بالملك الهارب وقصد سومنات.

أهالي المناطق المار عليها السلطان محمود وجيشه لم يتركوهم يمرون بسلام وحاولوا الإيقاع بهم كثيرًا لمنعهم من الوصول إلى صنمهم سومنات، فنصبوا الشباك فى الطرقات وتغلب الغزنويون عليها، وتمكنوا من الاستيلاء على حصونهم، ووجدوا فيها الكثير من الأصنام ووصفوها بأنَّها حجاب لصنمهم سومنات، ويُعدُّ المشهد الَّذِي شاهده السلطان محمود يُشبه تأمين طريق لأحد الشخصيات المهمة فى زيارته لدولة أخرى، فحطم كل ما وجد وضم لخزينته ثروات المعابد.

أمراء الولايات والمدن اتفقوا على توحيد صفوفهم وتكوين جيش يضم جميع جيوشهم ليقفوا يدًا واحدةً أمام الجيش الغزنوي، وعلم السلطان محمود ما يرتب اليه الأمراء، فاسرع فى إرسال جزء من الجيش ليتمكن من تفرقتهم وعدم وصول الأمراء لبعض، وبعد الانتهاء من مهمتهم عادوا إلى الجيش الغزنوى للتحرك دفعة واحدة إلى سومنات.

بالقرب من مدينة سومنات كانت مدينة ديولوارة أهلها على يقين بأنَّ سومنات سيدافع عنهم وسيهزم الجيش الغزنوي، وعندما وصل الغزنويون إلى بلادهم قاتلوا ودافعوا عن المدينة بكل قوتهم، غير أنَّ الجيش الغزنوي تمكن من هزيمتهم وقتل وأسر الكثير منهم[٣]، وهدم ما بها من معابد.

---

[١] نهلوارة: هى قاعدة الجزيرات الهندية، وهى غربي المنيبار وعمارة نهلوارة تفصل بين البساتين والمياه (أبى الفداء: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت- لبنان، لسنة ١٨٣٠م، ص٣٥٧).

[٢] كندهة: قلعة في إحدى جزر بحر العرب، وتبعد عن البر أربعين فرسخًا (٢٤٠كم تقريبًا) (فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، هامش ص٢٧٢).

[٣] ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص١٤٨-١٤٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٧، ص٤٩٠؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٩٢؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلامي، ج٣، ص١٠٠؛ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص٩١؛ عصام الفقى: بلاد الهند فى العصر الإسلامي، ص٢٥؛ فخر الدين الحسيني: الهند فى العهد الإسلامي، ص١٥١؛ محمد بن ناصر العبودي: الرحلات الهندية نظرات فى شمال الهند، جـ١، ص٩٤-٩٥؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٧٢.

وصل الغزنويون لمدينة سومنات يوم الخميس الموافق منتصف شهر ذي القعدة لسنة ٤١٦هـ/الثامن من يناير ١٠٢٧م، فوجدوا جميع أسوار المعبد شبه مُغطاة تمامًا لا يظهر منها شيءٌ، ذلك لكثرة أعداد الناظرين من عليها تتملكهم حالة ترقب لما سيحدث من سومنات انتقامًا وتخليصًا لحقوق الأصنام المحطمة من الجيش الغزنوي.

أرسل السلطان محمود برسول يدعوهم للدخول فى الاسلام، ويخبرهم أنَّ السلم أفضل ولا داعي للقتال، ورسالته لهم: "إنَّ سومنات لن ينفعكم فى شيء وهو السبب فى قدومنا إليكم، ولن نرجع عن المدينة حتَّى نُسوىَ به الأرض، حتَّى ترون كذب ادعائكم".

تمسك الهنادكة بالصنم وقال أنَّ سومنات سوف ينتقم ويذيق الغزنويين منه كل أصناف العذاب، ورده على رسول السلطان:" تَعالوا يا معشر المسلمين، لقد دعاكم سومنات ليهلككم جميعا، ويأخذ بثارات الأصنام الَّتي كسرتموها".

فى صباح يوم الجمعة بدأ الجيش الغزنوي فى رمي الهنادكة بالسهام والمنجنيق، والهنادكة يدافعون عن البلدة والمعبد، ويضحون بأرواحهم ولا يتركون أماكنهم حتَّى لا يُعطونهم فرصةً لدخول المعبد، فاستمر الجيش الغزنوي فى ضرباته حتَّى تمكن من إنزال الهنادكة عن الأسوار، وفردوا السلالم ليتسلقوا الأسوار ومنها نزلوا داخل المعبد وفُتحت أبوابه، تأزم الوضع واشتدَّ الخناق والتقى الفريقانِ، حتَّى الآن لم نجد رد فعل من سومنات، وأهله ينتظرون حدوث شيء، يتضرعون إليه مجموعة تلو الأخرى، تذهب فتعفر وجهها فيه وتتوسل إليه ليرد عنهم ما يحدث ثُمَّ تخرج تُكمل القتال، يومانِ على هذا الوضع[1]، وحفاظًا على الصنم بعث البراهمة إلى السلطان محمود يعرضون عليه دفع فدية مالية حتَّى وإنْ وصلت الفدية وزن سومنات ذهب مقابل أنْ يتركَ الصنم ويذهب.

رجال السلطان محمود وخاصته منهم من أغراه العرض، وبدؤُوا يتحدثون مع السلطان على الموافقة مبررين حجتهم أنَّ الذهب أفضل من الصنم ولا حاجة لنا به، فرد السلطان محمود عليهم قائلا: "كم أخشي أنْ يقول الخالق أمام الجميع يوم الحساب، أصغوا جميعا إلى آزر ومحمود، فذاك ناحت الصنم وهذا بائعه".

---

[1] الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٦٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٥، ص٦١٦؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، ج٤، ص٢٩٤– ٤٩٣؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٦؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٧٣–٢٧٤؛ أحمد الجوارنة: جهود السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام، دار المنظومة، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد(١١)، العدد الثاني، الاردن، لسنة١٩٩٦، ص١٣٩؛ عمر صالح العمرى: فتوحات السلطان محمود الغزنوي، ص٢٠٩–٢١٠.

امتلأ فناء المعبد بالدماء، وازداد عدد القتلي، و من نجا من أيد الغزنويين فرَّ إلى المراكب بالبحر لتنجيهم، فلحق بهم عساكر السلطان وقتل منهم الكثير حتَّى غلب على البحر ألوان الأحمر من الدماء، ووصل عدد القتلى من الهنادكة إلى خمسين ألفًا تقريبًا[٢].

تمكن السلطان محمود ورجاله من دخول المعبد، ووجد فيه ما لا عين رأت، وجده معبد فريد الطراز، مبني على ستة وخمسين عمودًا من الساج المصفح بصفائح الذهب ومُرصع بالحجارة الكريمة، تلتف حوله تماثيل مصنوعةً من الذهب والفضة يقف في المنتصف بينهم[١]، يتدلى من أذنه نيفٌ وثلاثون حلقةً يقولون كل واحدة منها عبادة ألف سنة[٢]، ولديه سلسلة من الذهب كلمَّا مرت طائفةٌ أثناء الليل تَحركتِ السلسلة فيصدر منهاً صوت مرتفع يُذهب البراهمة للعبادة[٣].

أمَّا الصنمُ بُني من الحجر، له خمسة أذرعٍ ،ثلاث منها مدورة ظاهرين وذراعينِ فى البناء[٤]، وعندما أمر السلطان عساكره بتحطيم الصنم تناثرت منه المجوهرات الثمينة من داخله مثل ما تتناثر المياه من النافورة، فأَخذ جزءًا منه صَنعَه عتبةً لمسجد غزنة[٥].

---

[٢] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ١٥، ص١٨٢؛ الذهبي: دول الإسلام، جـ١، حققه وعلق عليه حسن إسماعيل مروة، قرأه وقدم له محمود الارناؤوط، الطبعة الأولى، دار صادر، بيرت– لبنان، لسنة ١٩٩٩، ص٣٦٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٥، ص٩٠؛ عبد الله حسين: المسألة الهندية، ص٧٥.

[١] ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص١٤٨؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٤٩٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٥، ص٩٠؛ فتح الله عبد الباقي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص٢٧٤.

[٢] ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص١٧٩.

[٣] القزوينى: آثار البلاد، ص٩٦.

[٤] فتح الله عبد الباقي: الرسالة السابقة، ص ٢٧٤.

[٥] الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٨، ص٤٩١؛ أحمد محمد الجوارنة: المعارك الإسلامية في الهند، ص٣٠؛ أحمد الجوارنة: جهود السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام، ص١٣٩.